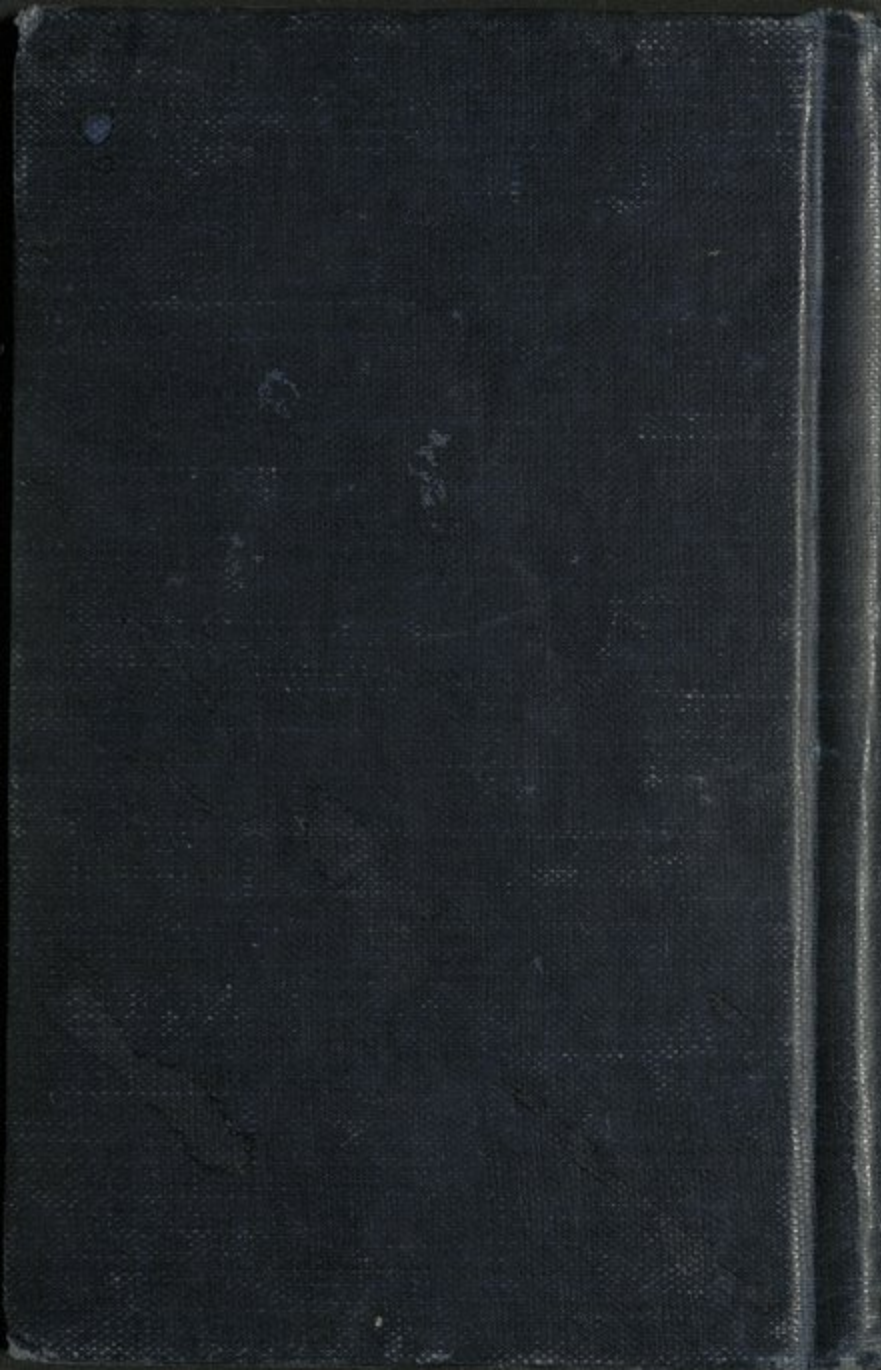
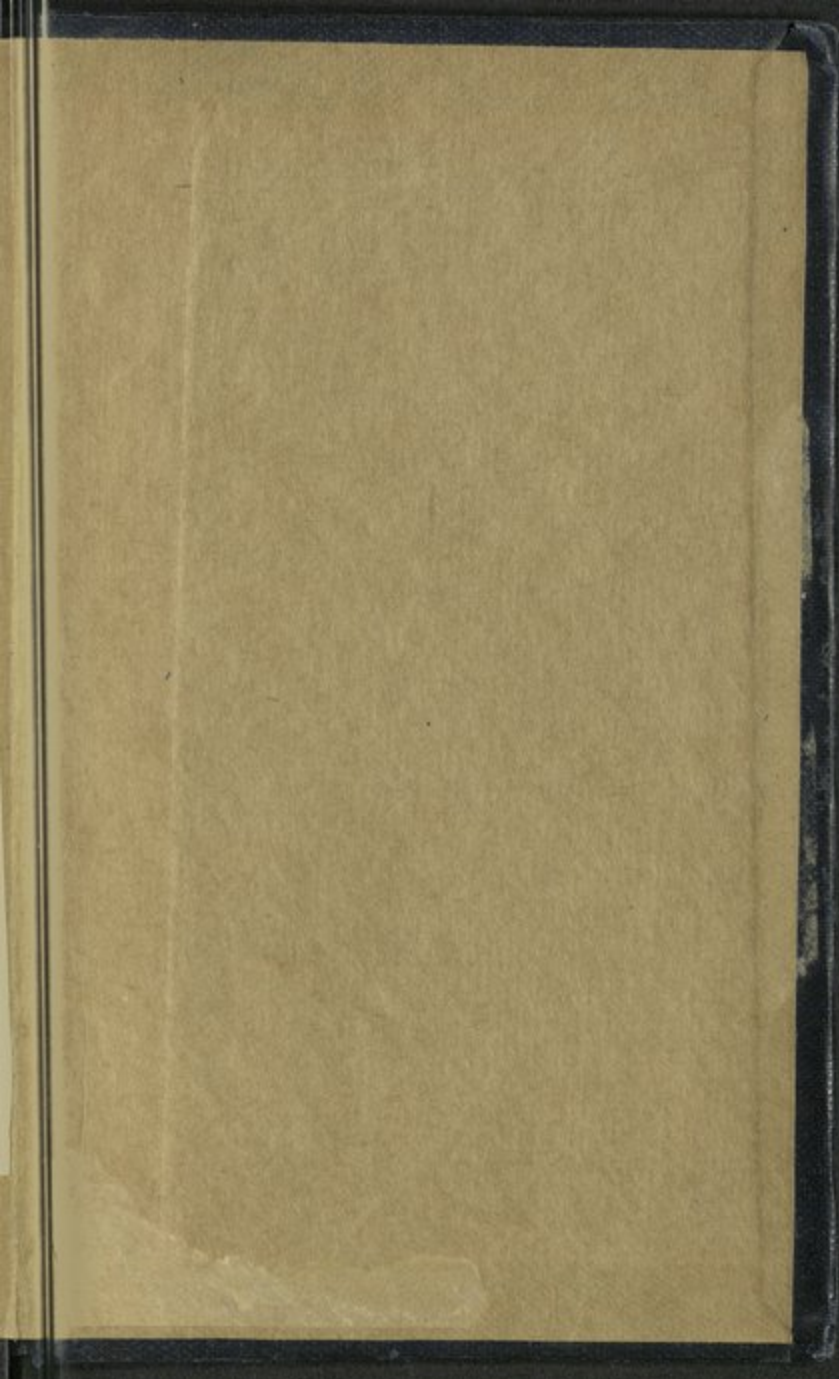
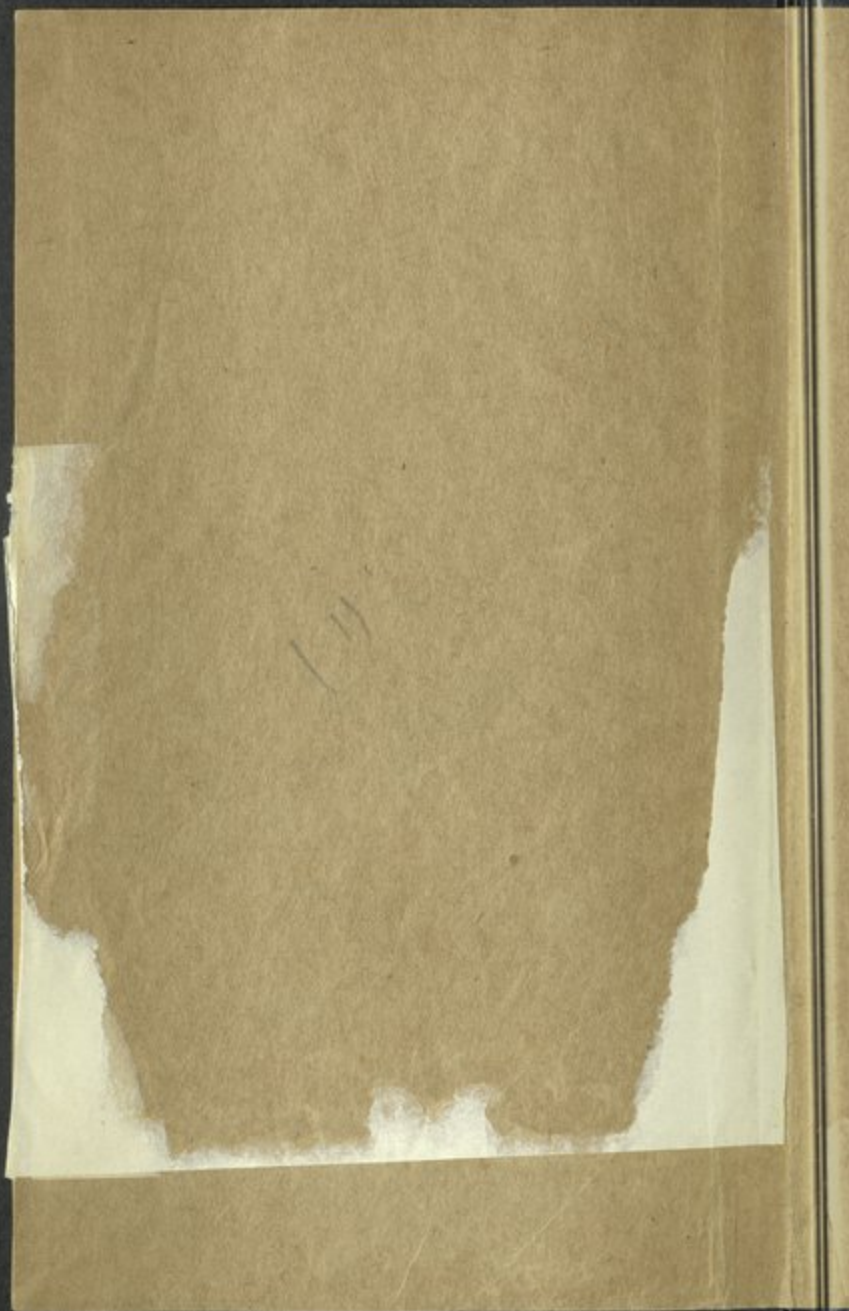
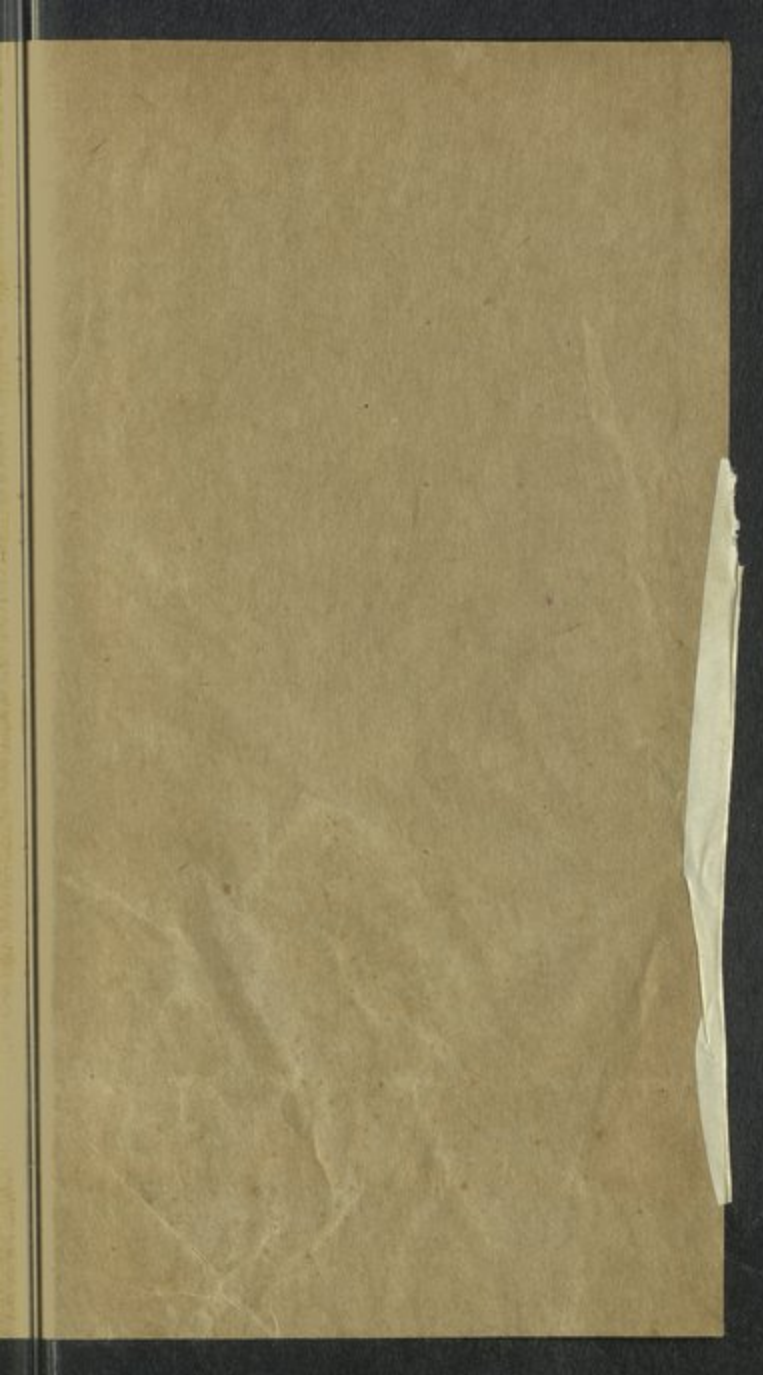










مواقف مؤثرة

في التاريخ

محمد بن عبد الله

سيد العرب

والعجم

والإسنى واليمن

الله صل وسلم وبارك عليه وآله

للمؤلف

بعض الكتب المطبوعة
مما له علاقة بموضوع هذا الكتاب



محمد النبي العربي

محمد في نظر المستشرقين

ماذا يجب ان تعرف عن محمد والاسلام

العرب « مجموعة تاريخية »

ابو بكر الخليفة الاول

عمر بن الخطاب

عثمان بن عفان

علي بن ابي طالب

فاطمة بنت محمد

الحسين بن علي

297.63
A165matl
C.1

عمر أبو النصر الباني

مواقف مؤثرة

في تاريخ

محمد بن عبد الله

سيد العرب

والعجم والإنس والجن

59643 اللهم صل وسلم وبارك عليه وآله

لجنة النشر العربية

دار الاحد - بيروت

Cat. 1945

الطبعة الاولى
١٣٦٤ - ١٩٤٤

حقوق الطبع والنشر محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ وَاهِدَةٌ

هذا كتاب غريب شأنه ، جليل خطره ، وصفت فيه الساعات الفاحشة المفجعة من حياة سيد العرب ^{صلى الله عليه وسلم} .

وما كنت افكر في نشره لايام خلت ، ثم اراد الله ان ينشر ، فقلت في نفسي اسويه للناس كتاباً ثم ادفعه لشباب العرب يقرأون فيه عظة الایام وحكمة الاجيال ، فلا يتوهم الخوف ان أودوا ، ولا يتورم الشفاق ان اخفقوا ، ولا يتعتم اليأس ان فشلوا ، ففي تاريخ سيد العرب من العظمة ما يحجبهم الخور واليأس والاستخذاء ، وفي بطولته وتضحيته وصبره على الاحداث ، من الصور والالوان ما يعلمهم ان حياة الابطال على هذه الارض ليست من النعمة والليونة والطراوة بالقدر الذي يظنون ، وان الدنيا خشنة جافة شاقة ، وان الرجل من

يعتمد على نفسه ، ويؤمن بربه . . . ويسير سبيله
قُدماً الى حيث الظفر والانشاء والاحسان والاعمار .

وكتبت هذا الكتاب في ساعات غمرتي فيها
فنون من الصور والروى ، فقد كان همي ان انقل
للجيل الجديد صورة رائعة من حياة سيد العرب
ومآسي رسول الله وكيف أودى وعُذِبَ وأُهِينَ ،
في سيل الحق والمثل العليا ، وكيف تنكر له قومه
واعترفوا قتله ، فهاجر الى المدينة ، لعله يجد فيها ما
لم يجده في بلده وعند قومه ، من التأييد والتشجيع
حتى ينشر دعوته ويؤدي رسالته . . .

وكان من همي ان اعرض للارض التي عاش فيها
سيد العرب عرضاً رقيقاً ، وكيف انما عارية ماحلة
حارة باردة ، بعيدة عن الصخب والضجة ، بحيث
لا تساوق الارض التي نعيش عليها في كثير ولا قليل ،
عارية تتراخى الواحها ، فلا تشير منا الاهتمام ، ننظر
الى السماء فتتكشف لنا عن صحو ليس لنا به عهد
ولا الفة ، فنحن في جوار الشمس وموطن الاحلام ،
حتى اذا ما حدد واحدنا النظر عن يمينه وشماله ،
واطل على الفضاء اخذته الصحراء ، وتملكته الرعدة
واستهواه ما يحسه في مثل هذه الوحدة من قرب
الى الطبيعة ورب الطبيعة . . .

وكذلك يستشعر المرء انه في ارض قد تناقلت

عنها الحضارة فلا تشبه الارض التي نعيش عليها ، وانما بعيدة عن الزخرف الذي نجده في مشارف الشام حيث الحقد والغرور ، والصخب والضجة ..

فلما انتظمت هذه الصفحات كتاباً ، خيل اليّ ان اصالح لتقرأ وتنشر بين الناس ، وانما تستحق ان تعرض للشباب الجديد ، يجد فيها من الاحاديث عن طفولة سيد العرب ، ما يثير اهتمامه بطفولته ، ويقع فيها على هذه المآسي التي تبسطت في وصفها ، وهذه الاشجان التي سلخت الساعات في تصويرها ، فيذكر اشجانه ومآسيه ، مدرعاً بالصبر والجلد على الماضي في سبيله ، حتى يظفر بما يريد من عمل نافع وحياة مفيدة ...

مرّت على الارض فترات من الزمن ، كان الناس فيها يعبدون الابطال ، سواء اكان البطل رسولا من رسل الله ، ام كان عبقرياً من عباقرة الارض ، ولكن سيد العرب ارادنا على غير ذلك ، وجنبنا عبادة الانسان ، سواء اكان رسولا مرسلاً ، ام عبقرياً عظيماً ، ودعانا الى عبادة الله وحده لا نشرك به ، سبحانه لا آله الا هو ، ولولا هذا التحذير الصارخ الذي دعا اليه ، ونادى به ، لعبد الكثيرون هذه الشخصية العذبة الرقيقة القوية الصلبة ، فان في

محمد من البطولة والعبرة والسمو ما يجعله امة وحده
 لا يدانيه احد من رجال العالم من قديم وحديث...
 آمن محمد بدعوته ، وآمن بالوحدة السياسية
 والدينية التي كان يدعو اليها ، وكان يعتقد انه لا
 معدي لابنائه من بعده عن تأثر سياسته وتبع سنته ،
 فاذا مات فلن يضير موته الدعوة ، ولن يضعف مآبه
 الاسلام ، وكان في ايمانه هذا مؤمناً ان ابنائه سوف
 يتأثرون تعاليمه ووصاياه ، فلا يفرضون لغير الاخلاق
 سلماً الى المجد ، ولغير الحرية سبيلاً الى الحياة...
 لقد كانت آخر كلماته دعوة الى الوحدة ،
 وهدم للعصبيية ، ونداء الى العمل الصالح ، والرحمة
 والاخوة الانسانية ، وكل ما ارجوه ان يقع كتابي
 هذا من القراء الموقع الذي يحفزهم على المضي في
 طريق سيد العرب ، بحيث يصبحون كأنهم اللجة
 القوية الصاخبة ، تلو حتى تساوق في ارتفاعها الجبل
 الشاهق ، ثم تنحدر فتبتلع في انحدارها كل ما هو
 حقير وصغير...

الانصراف

وكذلك انتهى من المقدمة ، وهو امر لا معدي عنه
 لمن يريد ان يضع للناس كتاباً ، وهو كتاب ارجو
 ان اوفق في اهدائه كما وفقت في وضعه ، وقد

تعود القراء مني تجنباً عن الاعداء ، وتحلفاً عن
 مسابقة الكثيرين من يولفون ويكتبون ، ولكفي
 ميلد اليوم من عادي ، ومقدم كتابي هذا ، الى
 نسيب كريم وابن عم كريم ، شق طريقه في الحياة
 واحسن في كل ما قام به ، وانصرف له ، وكان في
 اعماله واخلاقه ، مثالا يحتذى لاهله وانسابه ، فهل يشكر
 ابن العم السيد غالب ابو النصر الباقي بقبول هذا
 الكتاب الذي ارجوا ان اكون فيه عند حسن ظنه
 والذي قصدت فيه الى تعجيد الصبر والرجولة
 والتضحية ، وتحمل المآسي والمصاعب ، في سبيل
 الامال والاماني العظيمة ، لان النفوس الكبيرة لا
 تستخذي للحياة الجاهمة العابسة ، ما دامت تحمل
 في قلبها الايمان بسيد العرب ، الذي كانت حياته
 عبارة عن انشودة عذبة ، استجالت بالصبر والتضحية
 والرجولة من مدينة منزلة في الصحراء ، الى مدن
 بعيدة ، واقاليم شاسعة ، وممالك لا تقيب عنها الشمس
 وحضارات ما تزال حتى يومنا هذا ، نشيدا عذبا ،
 وكتاباً ضخماً ...

بيروت محرم ١٣٦٤
 كانون الاول سنة ١٩٤٤

المؤلف

كلمة من المؤلف



يرى المؤلف من واجبه الصلاة
على رسول الله عدد ذكر اسمه
في كتابه ، وهو قد بدأ فعلا
بالصلاة عليه في مطلع الكتاب
وفي آخره وبين حاشيته ، وغفل
عن هذا الواجب في كثير من
الفصول الاخرى ، فهو يعوّض
بهذه الكلمة ما فاتته ، صلى الله
عليه وسلم دائماً وابدأ .

عهد الشكبات

الساعات الاولى

في الساعات الاولى من صباح يوم الاثنين في الثاني عشر من ربيع الاول منذ الف واربعمئة وستة عشر عاماً ، وفي قرية نستطيع ان نقول ... انها كانت بمعزل بعض الشيء عن الحضارات القائمة حولها ... وإن كانت محطة تجارية خطيرة تمر فيها القوافل الآتية من اليمن ، تحمل المواد الاولية والعطور والتوابل والبخور والحريرو وغيرها مما كان يصدر عن الهند والحبشة في طريقها الى غربي آسيا ، حيث تتبسط الامبراطورية البيزنطية ... في هذه القرية النائية ابصر النور طفل فقير يتيم لم يفتن لخطر ميلاده وعظيم شأنه وبعيد اثره احد من اهله ولا عشيرته .

كانت مكة بلداً تجارياً يشتري اهله السلع من

اليمن والحبشة ثم يبيعونها على حسابهم في اسواق الشام
ومصر ، جعلها عرب الحجاز قاعدة لتجارتهم ، ووضعوا
الطريق التي تمر فيها القوافل التجارية تحت حمايتهم ، وعلى
تجارة مكة كانت يعتمد الروم في كثير من شؤونهم
حتى فيما يتفهمون به كالحرير وغيره .

في هذا الوسط التجاري ولد محمد بن عبدالله صلى الله
عليه وسلم ... وكانت والده قد توفي لشهرين خلياً ،
وكان من عادة اهل مكة ان يلتمسوا لاطفالهم الرضعا
من نساء البادية ، وارجح ان امه لم تحتضنه اكثر من
اشهر معدودات ، ثم حمل الى البادية تتوفر حليلة السعدية
على خدمته وتربيته واطعامه ، وبعد ثلاث سنوات عاد الى
امه ، فما لبث غير قليل حتى توفيت وهو في السادسة
من عمره ، فكفله جده عبد المطلب وكان من زعماء مكة
مرموق الكلمة ، كبير الخطر ، وكان له محباً وبه مغرمأ ،
والصبي عليه مدلاً ، حتى لقد كان يوضع لعبد المطلب
بساط في ظل الكعبة فيجلس بنوه حوله لا يجرأ واحدهم
ان يجلس عليه اجلالاً واعظاماً ، فاذا جاء محمد اخذ
مكانه عليه فيحاول اعمامه تأخيره عنه ، فيأبى ، فيقول
عبد المطلب حين يرى ذلك منه ومنهم ...

— دعوا ابني هذا فوالله ان له شأنأ ...

وفاة عبد المطلب

وفي ذات يوم ، وبعد سنتين من وفاة آمنة ام محمد ،

أصبح عبد المطلب مريضاً مثقلاً ، ألقى في روعه انه مفارق مكة فراقاً لا رجوع بعده ، فیدعو بناته ، ويطلب اليهن ان يبيكينه كما يبكي الناس الموتى ... ومحمد قائم امام فراش الشيخ يرى ويسمع ، ويضطرب قلبه لما يرى ويسمع ، فتنهال من عينيه دموع ، ويضطرب في قلبه اسفاق كثير ...

لله من دموع اليتيم ما احمرها واشدها ... فتى ما عرف اباه ولا اكتحلت عيناه بمرأى امه الا قليلا ، فاذا ما كفله جده وراح يبر به ويعطف عليه ، راح يأخذه الموت من بين يديه كأنما اراد القدر ان يظل هذا الفتى يتيماً حقاً ، ما تضطرب حوله عاطفة ، ولا تزخر في وجهه ابتسامة هائثة ، وهو الى ذلك ضعيف لا يملك للاقدار رداً ، ولا يستطيع لها دفعاً ...

ويغلب على اليتيم الصغير الحزن والاسى ، فيمضي كثيراً من يومه وبعض ليله ، يذكر فيها اباه الذي لم ير له وجهاً ، ويذكر امه التي لم تتوفر لها العناية به الا بمقدار ، ويذكر جده الذي فارقه منذ ساعات ، ثم يطلق بصره الى السماء ، يطلب منها ملجأ وحامياً ، وهو اليتيم الفريد ...

الطفل اليتيم

يموت الشيخ ويكفل اليتيم عمه ابو طالب ، ولم يكن من اهل اليسر والمال ، فاذا محمد يعاني مشقة في مأكله

ومشربه وحياته ...

في هذه الايام المدلّمة القاسية ، كان محمد يأوي الى جارية ابيه عبدالله ، المحلوقة الحبشية السوداء ، التي كانت تحضن الطفل وتحنو عليه ، كانت تغمره بصوف من الحنان والمحبة ، لا يشغلها عن خدمته مرض يُلمّ بها ، ولا يمنعها عن العناية به شيء من اثقال الحياة ...

لم يبق لمحمد بعد ابيه وجدده غير حاضته هذه ، ام ايمن جارية ابيه ، التي شهدت ليلة الوضع ، والتي ما كادت ترى الطفل يمس الارض ساجداً هادئاً ، حتى القي الله حبه في قلبها ، واذا هي تذوب في الطفل حناناً ، واذا هي تغمره بصوف من المحبة والاخلاص ، فاذا ذهب الى البادية ، أسقط في يدها وتولاها من الحزن شيء كثير ...

فاذا ما عاد الطفل الى مكة ، وتوفيت امه بعد ذلك ، خُلف البيتيم الى الحاضنة ، من دون الناس ، فاز الدنيا عندها اياه ، واذا هو كل شيء في وجودها وحياتها ، وقفت نفسها على خدمته ، وخصته بحنانها وحبها كله ، أمة وفيه كريمة ، ما عرفت معنى الحياة إلا في هذا الطفل ، ولا رأت نور الدنيا الا في عينيه ونظراته ...

ويسير الزمن سيرته ، لا تفارق الحاضنة فتاها ، ولا يشغلها شيء عنه ، حتى اذا بلغ سن الرجال واتخذ له زوجة ، اعتق البيتيم حاضته ورد اليها حرياتهما ، فتزوجت رجلاً من اهل المدينة ، فلما توفي عادت الى فتاها ، فعاشت

في كنفه ، وامنت به لما ارسله الله رسولا ، ومحمد لها
حبا ، وبها رقيقا ، ينطلق لسانه اذا ما اقبلت نحوه بهذه
الكلمة الرائعة العذبة :

— انها بقية آل بيتي ...

تلك هي ام ايمن الخادمة الجشية السوداء حاضنة محمد ،
ومربية محمد ، وسيدة من سيدات المسلمين ... وكذلك
اراد ربك ان يكون محمد يتيما ، وان يكون فقيرا ،
وان يكون معدما ، حتى اذا جاء امر الله ، وارسله
الى الناس نبيا مرسلًا ، ثم مكنه من العربية قاصيها
ودانيها ، عرف قيمة اليتيم ، واثر الفقر ، ومشقة العدم ،
خاطبه ربه في كتابه الكريم فقال :

« فاما اليتيم فلا تقهر ، واما السائل فلا تنهر ، واما
بنعمة ربك فحدث .. »

في طريق الشام

فاذا كان في التاسعة من عمره اخذه عمه معه في
تجارة الى الشام ، وما كان محمد وهو في مثل هذا السن
ليتفهم اسرار الحياة او يغوص في فلسفة الديانات ، لنؤمن
بما يقول به بعضهم من اجتماعه الى فلان وفلان من
الرهبان ، فعلموه العقائد النصرانية ، وافهموه سر التوحيد
والوحدة الالهية ...

ولست انكر ما قد يتوفر للفطن النابه يضرب الارض
في تجارة مع جماعة من الناس ، وقد تبسط اكثرهم في

مواطن الحضارة واستقامت لهم معرفة ببعض الوان الحياة
الاجتماعية القائمة في ذلك الزمن ، فيروح كل واحد منهم
يقص ما شاهده وما سمعه من الوان واحداث حين يجن
الليل ، وتسكن الطبيعة ويأوي رجال القافلة الى شيء من
الراحة بعد عناء النهار ، ومتاعب السفر ...

في الصحراء

هذه قوافل مكة تجتاز الصحراء العربية ، وتطوي
الييد ، وتركب الرمال ، ومحمد منصرف الى نفسه ، غارق
في احلامه .

قضت القافلة ثلاثين يوماً حتى برزت لها الارض
المتحضرة الطافحة بآثار الروم والفساسنة ، فلاحت عندئذ
للتييم البيع والمعابد والقصور والقباب ، وانكشفت له
الارض عن الربيع الاخضر فهذا النارنج ، وهناك مغارس
الآس ومواطن الاعناب ...

ومد اليتيم يده الى زهرة من هذه الازهار الباسمة
العابقة قلقاً وجلاً ، فلما حاذتها انامله استأنس بها ،
واستأنست به ، فلم يشأ عزوفاً عنها ، فرمى بنفسه الى
جانبيها وقد انهكه السفر واضناه بعد الشقة ...

واطلق ابو طالب بصره يبحث عن ابن اخيه فاذا
محمد بين النارنج والآس ، واذا هو حائل اللون ، حائر
الطرف ، ظاهر الرزاة ، بادي التفكير ، فتركه وشأنه ،
وقد عوده هذا اليتيم مثل هذا الانقباض والابتعاد عن

الناس والخلوص بنفسه الى عزلة هائلة وادعة ، بعيداً
عن الارض ومن على الارض ... وهذا ما كان يدهش
ابا طالب ويثير هواجسه وتفكيره ...

فاذا عاد محمد الى مكة ، تساءل من يحاول التأريخ
لحياته عن اثر هذا الاتصال بالحضارة الرومانية النصرانية
في نفسه ، أرقه واشجاه ، ان يشهد هذه الارض الزاهية ،
فيرى ملوكها واقبالها الاعارب عبداناً لقياصرة الروم ؟
ام احزنه ان لا تستمتع الجزيرة بمثل هذه الحضارة
النضرة التي كانت تنعم بها بصرى ومشارف الشام ..؟

بعد التاسعة

المؤرخون لا يتحدثون عن حياة محمد في هذه السنوات
التي تقطعت بين سفره الى الشام والخامسة والعشرين من
عمره ، لما سأله خديجة وهي امرأة غنية من اهل
مكة ، وفي الاربعين من عمرها ان يذهب بتجارتهما
الى الشام ، فيذهب الى بصرى من اعمال الشام ، لان
السلطات البيزنطية في ذلك العهد لم تكن تسمح لتجار
العرب بدخول دمشق ، فاذا عاد غانماً كاسباً عرضت عليه
خديجة ان يتزوجها فيفعل ...

ولكن كيف مضى اليتيم طفولته الشديدة وايامه
الاولى ؟

هل كان له اصدقاء يخالطونه ويخالطهم ؟ ويخالسونه
ويخالسهم ؟ ويأنسون اليه ويأنس اليهم ؟

هل كان ابو بكر وعمر من اصحابه في هذه الفترة ؟
هل كان يرعى الغنم قبل الخامسة والعشرين ، ام
كان يشتغل بالتجارة كما كان شأن اهل مكة في هذا
العهد شيوخاً وشباباً ونساء ؟

ثم ما هذه الشوائع تملأ جو مكة عن اخلاقه
وصدقه واستقامته ... مثل هذه الشوائع لا تخلق ارتجالاً ،
ولا تسير سبيلها بين الناس عفواً ، اذا لم تستبقها اعمال
وفضائل ومكارم صالحات ، معروف امرها ، ملموس شأنها ،
مصدقة اخبارها .

كتب السيرة لا تتولانا بجواب عن هذه الاسئلة ،
ولكننا نظن ان فقر عمه قد حمل محمداً على العمل لما
استوى شاباً ، واذاً فقد رعى الغنم ، وقام باعمال تجارية
صغيرة ، اثبتت للناس صدقه وامانته ، فتحدث بها الناس ،
وعرفت بها خديجة ، فاستأجرته لتجارتهما ، وكان ما كان
من زواجه بها ...

في غار حراء

من المؤكد ان محمداً بدأ بالتفكير الروحي بعد الخامسة
والثلاثين ، وقبيل الاربعين اخذ يتعبد في غار حراء ،
وهو جبل بالقرب من مكة ، وفي هذه الليالي المقمرة ،
اخذ محمد يطيل النظر الى هذا العالم العظيم الذي كان
يشع امامه في السماء ، هادئاً مفكراً ، حتى كان الاتصال
بالله وكانت الرسالة ...

بودي لو اوفق الى تصوير هذه الايام يقضيها سيد
العرب في غار حراء ولكن احداً من المؤرخين لم يعرض
لها ، ولا حاول تصويرها وتفسيرها ...

ولذلك لا يزال غار حراء سرّاً من الاسرار ، ولا
يزال تعبد الرسول فيه لغزاً من الغاز الحياة ، ونحن
اذا اطلقنا الفكر الى هذا الجبل وحاولنا تصوير الحياة
المحمدية فيه ، لا نكون بعيدين عن الحقيقة اذا ذهبنا
نقول ، ان رسول الله كان يأوي الى الغار ما بين حاشيتي
النهار نائماً حيناً ، مفكراً حيناً آخر ... وان تعبد
وهجوعه وتقليب بصره في السماوات العلى انما كان في
الليل ، والقمر مشرق ، والهواء رطب بليل ، والسماء
غارقة في انوارها وضياؤها .. ومن المؤكد انه كان يغادر
الغار ما بين حاشيتي الليل متمشياً على سفح الجبل ،
مولياً وجهه شطر السماء ، كأنما يحاول الاتصال بها ،
والتحدث اليها ، وما يزال هذا شأنه ، حتى تلفح اشعة
الشمس شعره المرسل على جبينه وكفيه ...

اَيَّامُ شَافَةِ صَعْبَةٍ

سُ مَبْنِي فِي مَكَّةَ

يَقْسَمُ تَارِيخُ مُحَمَّدٍ بَعْدَ النُّبُوَّةِ إِلَى قَسْمَيْنِ ، دَعْوَةِ إِلَى
الْإِسْلَامِ فِي مَكَّةَ ، دَامَتْ ثَلَاثَةَ عَشْرِ سَنَةً ، وَتَنْظِيمُ ،
وَتَشْرِيعُ ، وَنُضَالُ ، فِي الْمَدِينَةِ ، دَامَ حَتَّى وَفَاتِهِ ...
فَقِي مَكَّةَ أَوْذَى مُحَمَّدٌ وَأَهْلِيهِ ، وَنَابَذَهُ قَوْمُهُ
وَتَذَامَرُوا مِنْهُ ، وَحَضَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَيْهِ ، وَاعْرَضَ
عَنْهُ عَامَةُ النَّاسِ وَتَرَكُوهُ ، وَحَارَبَهُ خَاصَّةُ الْقَوْمِ وَعَادُوهُ ،
وَهَذَا هُوَ الْقَدَرُ يَعُودُ سِيرَتُهُ الْأُولَى ، فَقَدْ أَصِيبَ مُحَمَّدٌ
بِالْيَتَمِ صَغِيرًا مِنْ أَهْلِهِ ، وَهُوَ الْيَوْمُ يُصَابُ بِهِ كَبِيرًا
مِنْ قَوْمِهِ .

رَاحَ مُحَمَّدٌ فِي مَكَّةَ يَحْمِلُ عَلَى مَا كَانَ لِقُرَيْشٍ مِنْ نُظْمٍ
بَالِيَةٍ عَتِيقَةٍ حَمَلَةٍ عَنِيْفَةٍ ، لَا مَوَارِبَةَ فِيهَا وَلَا هَوَادَةَ ...
نَاعِيًا عَلَيْهِمْ وَثَنِيَّتَهُمُ الْمُنْحَطَّةَ ، وَنِظَامَهُمُ الْاجْتِمَاعِي الْفَاسِدَ

الذي جعلهم شيعاً وفرقهم الى فقراء واغنياء وسادة وعبيد ، منتقداً تفاخرهم بالاحساب والانساب ، مقبجاً طرقهم الملتوية في المعاملات داعياً اياهم الى الايمان بالله وحده ، والاحسان والعمل لخير المجموع .. فصدقه قوم قليل ، وأعرض عنه الاكثرون ، وذهبوا ينابذونه ويضربون انصاره ، ويقاطعونهم ، حتى اجبروا بعضهم على الهجرة الى الحبشة ، ثم قرروا قتله ، فاضطر الى النجاة بمبادئته الى المدينة ..

محمد وقريش

وقفت قريش - وهم اهل مكة - اول الامر من محمد موقفاً وسطاً ، فلم تعرض له كل العرض ، ولم تتركه وشأنه كل الترك ، وانما راحت تسفه دينه ، وتحض الناس عليه ، وتعمل على ارتداد من آمن بالله ورسوله ، ولكن محمداً كان النشاط واللباقة والفصاحة وجمال الخلق مجتمعة ، فوجدت قريش انها امام رجل عنيد وقوة لا تقهر ، ورجل لا كالرجال ، وخصم ليس كغيره من الخصوم ، فهي ان لم تعاجله عاجلها ، وان لم تقض عليه قضى عليها ، فهبت تنهج في مقاومته نهجاً جديداً ، كانت اول الامر تستهزيء به وبدعوته ، وبمن تبعه ، فهو شاعر وساحر ومجنون ، وما دعوته الا خداع وغرور ، وما اتباعه الا عامة الناس ومن والاهم ، ثم راحت تحاول اعجازه ومعانياته ومكايده .. ان يكن صادقاً فيما

يدعي ، فليحول جبال مكة جنائاً وانهاراً ، او فليرق
الى السماء ، او فليأت بالله والملائكة يساعدونه ويؤيدونه ،
فلما اعيتهم فيه الحيل ورأوا وقوف عشيرته دونه يمنعونه
ويحجمونه اخذوا يعرضون عليه الملك والزعامة والشرف
والجاه والمال الوفير ، فيرفض هذا كله ، ويطلب منهم
ان يؤمنوا بالله لا آله الا هو وحده لا شريك له .

هـ بطا

وكلت قريش عمه ابا طالب بالامر ، فبعث اليه
يحاوره ويقول :

— يا ابن اخي ان قومك قد جاؤوني فقالوا لي كذا
وكذا ، فابق على نفسك ولا تحملي من الامر ما لا
اطيق ...

وحديث ابي طالب مع ابن اخيه كان فيه الكثير
من الاستعطاف والتوسل ، فقد احس ابو طالب بالشر ،
لما هددته قريش ان يكف ابن اخيه عنها وعن دينها
وأهلها ، او تنازله حتى يهلك احد الفريقين .. لقد عظم
الامر على العم ، وخشي العاقبة ، وان تركبه دهما العرب
مع قومه ، فبعث الى محمد وقال له ما قال ...

وكان محمد في الواقع مديناً لعمه بكثير من العناية
والعطف والاحسان ، فهو الذي قام على تربيته بعد وفاة
جده ، وانزله منزله ، وجعله مثل ولده ، وهو الذي
يحميه من عدوان اهل مكة عليه ، فمن حق محمد ان

يذكر له كل هذا ، ولكن الامر كان فوق طاقته ، كان
محمد رسول ربه ، يدافع عن المثل العليا ، يدعو
للتوحيد والفضيلة والعدل والاحسان ، وكل ما في الحياة
من خير ونعيم ...

كان محمد في موقف حرج ما في ذلك شك ولا ريب ،
كان امام واجبه نحو ربه ، وامام واجبه نحو عمه ...
وعمه وعائلة عمه وكل شخص من بني هاشم ، كانوا جميعهم
تحت رحمة القدر ورحمة قریش ، ومن وراء قریش دهماء
العرب تطلب فرصة للانقضاض عليه وعلى اهله ، ولكن
ايمانه بالله كان فوق حياته ، وحياة اهله ، واقرب
المقربين اليه .

قال لعمه : « يا عمي .. والله لو وضعوا الشمس في
يمني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر حتى
يظهره الله او اهلك فيه ما تركته » ...

ويحس محمد بشدة الجواب وقوته ، ويظهر عليه التأثير ،
وتتفرق دموعه على وجنتيه ، فيتوك عمه مكانه ، ويمضي
في سبيله ... فيناديه هذا :

- اقبل يا ابن اخي ..

فيقبل محمد فيقول له ابو طالب ..

- اذهب يا ابن اخي فقل ما احببت ، فوالله لا

اسلمك لشيء تكرهه ابداً ..

وافضى ابو طالب الى بني هاشم وبني المطلب بجواب
ابن اخيه ، وطلب منهم ان يمنعوا محمداً من قریش ،

فاستجابوا له جميعاً الا عمه ابو لهب فانه صار حهم العداوة ،
وانضم الى خصومهم عليهم ...

استمداد الاذى

غضبت قريش لعناد محمد وحماية اهله له ، فاجمعت كلمة
رجالها على حجز محمد وعشيرته من بني هاشم والمطلب
في بعض شعاب مكة ، وقطعوا كل اسباب الاتصال
بينهم وبين جمهور الناس ، فقفى بنو هاشم والمطلب نحو
ثلاث سنين في ضيق شديد ، حتى لقد كان يسمع صوت
صغارهم من وراء الجبل وهم يتضورون جوعاً ، وحتى قام
من قريش من حركتهم عاطفة الرحم والقراية فسعوا الى
اخراجهم من مضيقهم فأخرجوا .

لم ينعم محمد بهذه الحرية طويلاً ، ففي السنة العاشرة
للنبوة مات عمه ابو طالب وزوجه خديجة ، فخلا الميدان
من النصير الزائد ، وخلا البيت من الحبيب المؤنس ،
واصبح محمد وجهاً لوجه امام عدو قوي حنق عليه ،
كان يتربص فيه الفرصة ، فلما حانت اغرى به السفهاء
يتعمدونه بالاذى والعدوان .

سر في الطائف

فكر محمد في الخروج الى الطائف لعل ثقيفاً وهم
اهلها واصحابها ، نجيره من اهل مكة حتى يبلغ رسالته ،
فمشى اليها يسعى عند هذا ، ويتلطف لذاك ، وكلهم يرده ،

وكلهم يمتنع عنه ، ثم اغروا به سفلتهم ، فبدأوا يؤذونه
بالقول والفعل ، حتى ألبسوه ضعيفاً مكدوداً ، وكثيباً
محزوناً ، الى بستان في اطراف الطائف ، وقد ظهرت على
وجهه الكريم آيات الحزن ، وآيات الرجاء ، وآيات
الضعف ، وآيات القوة ، ضعف مصدره العناء ، وقوة
مصدرها العزم والحزم ، وحزن مصدره الرحمة لهؤلاء
الذين يدعوم الى الخير فيبغونه بالسوء ، ويرشدوهم الى
العزة فيريدونه بالمكره ...

اغرت ثقيف سفهاءها بمحمد ومولاه زيد بن حارثة ،
فاخذوا يرمونه بالحجارة ، ويتوعدونه بالاذى ، وما زالوا
يتعقبونه حتى ألبسوه ومولاه ، الى بستان خارج المدينة ،
وهنا وقد خلا محمد الى نفسه ، فاضت اشجانه ، واعتلجت
في صدره همومه ، وذكر يته وضعفه ، وقلة حوله فانبعث
بناجي ربه ويقول :

« اللهم اليك اشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ،
وهواني على الناس ، يا ارحم الراحمين انت رب المستضعفين ،
وانت ربي ، الى من تكلمي ؟ الى بعيد يتجهمني ؟ الى
عدو ملكته امري ؟ ان لم يكن بك عليّ غضب فلا
ابالي ، اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات ،
وصلح عليه امر الدنيا والآخرة ، من ان تنزل بي
غضبك او تحل عليّ سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ،
ولا حول ولا قوة الا بك ... »

الى المدينة

ويعود محمد الى مكة فيجد قريشاً تفكر في قتله ،
وإطفاء نور النبوة ، فيرى من الحكمة مغادرتها الى
المدينة حيث كان انصاره بانتظاره ، وحيث كان اكثر
المهاجرين من مسلمي مكة قد سبقوه ...



في سبيل الوحدة العربية

موقف رقبى

نحن في المدينة ، وقد هاجر اليها محمد والمسلمون ، وهنا ينتقل تاريخ محمد والاسلام الى دور جديد ، لعل اهم مظاهره توحيد الصفوف ، فالاسلام دين التوحيد ، التوحيد الديني والتوحيد السياسي ، محمد يوحد بين المهاجرين واهل المدينة من المسلمين وهم الانصار ، ويوحد بين الانصار انفسهم لانهم كانوا على اختلاف فيما بينهم ، وهناك في المدينة اليهود ، وهؤلاء إما ان يسير محمد معهم ويؤمن بشريعتهم او يحاربونه ، واذاً فقد كان على محمد ان يحارب خصومه في مكة ، وان يحذر خصومه في المدينة ، وقد حاول وهو في المدينة ان يتقرب الى اليهود ، وكانوا جماعة كبيرة فيها ، فلم يوفق ، فاضطر الى حربهم او ابعادهم جماعة بعد جماعة ، حتى لم يبق في المدينة منهم

احد ...

ولكن موقفه مع اهل مكة كان شيئاً آخر ، كان يعلم انه لن يوفق الى توحيد القبائل العربية في دولة واحدة اذالم يقض على خصومه في مكة ، فقد كان العرب لا تخرج عن رأيهم ، فاذا لانوا لانت العرب ، واذا حاربوا حاربت العرب ، ولما كان اهل مكة تجاراً بكل ما في الكلمة من معنى ، فقد راح يجارهم بتجارهم ، قرر مبدأ الحصار ، وامر اصحابه ان يمنعوا وصول القوافل الى مكة ، والقوافل والتجارة حياتها ، فكان من ذلك معركة بدر ، وهي من اعظم معارك التاريخ اثراً ومصابر .

خروج المسلمين

ففي الساعات الاولى من صباح يوم الثلاثاء ١٧ رمضان من السنة الثانية للهجرة ، خرج من المدينة ثلاثاً واربعه عشر رجلاً من المسلمين بقيادة محمد بن عبدالله ، للاستيلاء على عير قريش التي كانت تحمل تجارتها من الشام الى مكة ، والتي قدرها بعض المؤرخين بخمسين الف دينار ... يحملها الف جمل على الارجح ... وكانت قريش جماعة معادية لرسول الله وأنصاره ، آذت المسلمين واخرجتهم من ديارهم وصادرت اموالهم ، وما تركوه في مكة بعد هجرتهم الى المدينة من مال ومتاع ، وكانت رسول الله يعلم ان اقتياد قريش

واخضاعها للإسلام ضروري لذبوع الدعوة في الجزيرة ،
لأن قريشاً قلب العرب ومرمى انظارهم ، والناس لهم
تبع ، فمتى استقاموا وانتقادوا استقامت العرب وانتقادت ،
لذلك فقد ضرب الرسول نوعاً من الحصار الاقتصادي
على قريش وأخذ يصادر تجارتها التي تذهب الى الشام
وتأتي منها ، استرداداً لاموال المسلمين التي اخذتها كرهاً ،
وراح يرسل السرية أثر السرية تعترض غير قريش وتجارها ،
انعاشاً للمسلمين ، وتشجيعاً لهم ، وقريناً لهم على القتال ،
وارهاباً لعدوهم ، حتى يؤمن بقوتهم وجلدهم ، ولكن
المسلمين لم يوفقوا في هذه السرايا ، ولم يلاقوا كيداً
حتى كانت معركة بدر الكبرى .

فلما علم رسول الله بخبر القافلة القادمة من الشام ،
وما تحملها من المال والامتعة والانسجة ندب المسلمين
اليها ، فخفف بعضهم وتناقل آخرون ، ظناً منهم ان
الرسول غير ملاق كيداً ولا حرباً ، فكان عدد الذين
خرجوا والحالة هذه لا يزيدون عن ثلاثمائة مقاتل إلا قليلاً .

ابو سفيان بن حرب

وكان أبو سفيان لما دنا من الحجاز ، يسير محتسماً ،
وقد بث العيون امامه ، فأخبر - وهو سائر - ان محمداً
قد استنفر اصحابه لقتاله ، فحذر واستأجر رجلاً يذهب
الى مكة فيطرح الخبر ، فاضطربت قريش على اموالها ،
ونفرت على الصعب والذلول ، فمن استطاع الخروج

بنفسه منها خرج ، ومن لم يستطع استأجر مكانه شخصاً ،
وكان عددهم بين التسعمائة والالف ولم يزالوا في سيرهم
الملتهب حتى نزلوا بالعدوة القصوى من وادي بدر ، وهو
الى الجنوب الشرقي من الحجاز

واما ابو سفيان ومن معه من اهل القافلة ، فانهم
بعد ان بعثوا بالخبير الى مكة تنكبوا الطريق المعروف ،
واخذوا يجدون بالسير حتى امنوا على انفسهم واموالهم ،
فبعثوا الى قريش بنجاتهم ودعواهم الى الرجوع لمكة ،
فاختلف القوم ، ثم اتفقوا على مقاتلة المسلمين ، ومتى
استصلوهم اقاموا في بدر ينحرون الجزر ثلاثة ايام ،
ويطعمون الطعام ، ويشربون الخمر وتعزف لهم القيان ،
فلا تزال العرب تهاجم ابد الدهر ..

وتلكت قريش الحيلاء ، وقد خرجوا على الحيل
وعليها الدروع والحديد ، وهم اضعاف اضعاف رجال
محمد ، فظنوا انهم الغالبون وان هذا اليوم يومهم ، وكان
اصحاب رسول الله من الفاقة والضعف في اسوأ حال ،
كان معهم فرس واحد ، وقيل اثنان ، وكان مع الثلاثة
او الاربعة البعير الواحد ، يعتقبونه الواحد بعد الآخر .

التظيم

وتراى الجيشان في صبيحة اليوم السابع عشر من
رمضان ، ووقف كل واحد قبالة الآخر استعداداً للمعركة
الفاصلة ...

وكان الفن العسكري عند العرب لا يزال في طفولته ، وكانوا لا يقاتلون بعضهم بعضاً بالجموع من الجيوش ولا بالعدد الكبير من الجند ، كما كان يفعل الفرس والروم ، وإنما كانوا يحاربون بالعشرات والمئات ، ومن المفروض في هذه الحالة ان تكون المعركة عبارة عن غزوة بسيطة ، وان يكون عدد الضحايا قليلاً جداً .. ومعركة بدر كانت صورة صادقة لهذه المعارك التي كانت تقع بين القبائل العربية في الجاهلية ، ولا نبالغ اذا قلنا إنها كانت صورة مكبرة ، لانه لم يكن يجتمع دائماً مثل هذا العدد من المقاتلة في أيام العرب قبل الاسلام .

وكان من الصعب على المسلمين ان ينسحبوا ولو كان عدوهم يزيدهم اضعافاً مضاعفة ، لان في ذلك اضعافاً للاسلام نفسه ، وتشجيعاً للمنافقين على الشغب ، وقضاء على الروح المعنوية التي كان ينعم بها المسلمون العرب .

ولذلك رأى رسول الله ان يقاتل قريباً بقوته الضعيفة معوضاً عن هذا الضعف بتنظيم عسكري تعبوي جديد ، فاختار موضعاً يسيطر على معسكر قريش ، وقسم قوته الى ثلاثة اقسام ، وجعل لكل قسم قائداً ورتب الاقسام بعضها الى جانب البعض الآخر ، وعبأها صفوفاً قوية ، وعرض الصفوف بنفسه ، فقدم المتأخر من الجنود وآخر المتقدم ، فاصبحت الصفوف متراصة مستقيمة ، وحظر

على المسلمين رمي السهام والتفاخر ، وفرض عليهم البقاء في
اماكنهم ، وان لا يرموا حتى تدنو قريش منهم ، وتصبح
على مسافة قريبة ، وغرضه من ذلك ان تنصب السهام
دفعه واحدة على قريش ، فتصيب اكبر عدد ممكن منهم .
وكان هذا الجيش المتراص بعضه الى بعض ، شبه
بصفوف المصلين في المسجد ، حتى ذهب بعض المستشرقين
الى القول بان الصلاة في الواقع ليست إلا عبارة عن
تدريب عسكري .

المعركة

وبدأت المعركة بالمبارزة الفردية كما هي عادة العرب ،
فنزل ثلاثة من جنود العدو الى الساحة ، وطلبوا ثلاثة
من المسلمين مثلهم شرفاً وحسباً ومقاماً ، حتى لقد طلب
المبارزون من قريش معرفة اسماء خصومهم قبل ان
يبدأهم القتال ليعرفوا اهم مثلهم شرفاً ومحتداً ... !
ثم بدأ الهجوم ، فمشت جماعة محمد وهي الجماعة
المستضعفة ، القليلة العدد ، الضعيفة العدد ، الجائعة الهزيلة ،
المضطربة الجسم من شظف العيش وقلة المأكل ، القوة
الايمان ، الشديدة الحماس ، الى خصومها ، وهي تعلم انها ان
هلكت ، هلك معها دين الله ، وان فشلت ، اقتحمت
قريش المدينة ، فقتلت الرجال وسبت الاولاد والنساء
والذراري ، واستأصلت الشيوخ ، فكيف تريدوا والحالة
هذه ان لا تدافع عن دين تعلم انه الحق من ربها ،

وكيف تريدنا ان لا تمتنع في الاستبسال وهي تعلم ما
يحقق بندارها ونسائها من بعدها .

النصر

جماعة هذا شأنها ، وهذا اخلاصها لمبدأها ، وإيمانها
بضرورة هذه الوحدة العربية التي راح يدعو اليها محمد
بن عبدالله ، لاتذهل إن رأيتها وقد ملك عليها الدفاع
عن عقيدتها وكيانها كل حواسها ، ولا يذهب بك العجب
إذا رأيتها قد وفقت في حربها ، وهزمت عدواً أكثر
منها عدداً وسلاحاً ، فالتصر للقوة المعنوية دائماً وابدأ ،
لا للجيش الضخم والعدد الكبير .

وكذلك انجبت هذه المعركة الاولى في سبيل
الوحدة العربية ، عن هزيمة قريش واندحارها ، فتمت
الغلبة للمسلمين ، وكان ذلك اول نصر في الاسلام .

ولعل من اروع فصول هذه المعركة هذا الحوار
الذي كان يدور بين محمد وربه ، ثم بين محمد وابي
بكر... وذلك قبيل المعركة ... فقد وقف رسول
الله يدعو ربه خاشعاً متواضعاً ماداً يديه ، مستقبل
القبلة ، حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فاخذه ابو بكر
ورده الى مكانه ، ثم اعترضه من ورائه وقال :

— يا نبي الله كفأك تناشد ربك ، فانه سينجز لك
ما وعدك ...

ما اعظم ايمان ابي بكر ، اني لاذكر ما قاله

نولدكه المستشرق الشهير عن الخليفة الاول « كان في
ايمانه بالله ورسالة محمد كالجبل لا يتحرك ولا يميل »
وكذلك كان ابو بكر ، كان كالجبل ايماناً بالله ومحمد ...
فهل يعود المسلمون الى هذا الايمان ، الذي فقدوه ، انهم
ان فعلوا ذلك تصدروا الوجود ، وحكموا ما بين المشرق
والمغرب .

احدث انتصار محمد على اهل مكة دواً عظيماً في
الجزيرة ، فقد استشعر الناس ان هناك حدثاً جديداً ، وان
هناك قرية صغيرة في الشمال ، قد اخذت تشي الى
حيث تأخذ مكانها في صدر الوجود .

المعارك الاخرى

ليس لمعركة « أحد » من شأن في نظري ، وهي المعركة
التي تلت بدرآ ، وفشل فيها المسلمون ، لان هذا الفشل
لم يؤثر في كثير ولا قليل على المسلمين والاسلام ، ولكنه
حفزهم للبحث عن انتصارات جديدة نالوها في السنوات
التالية . ومردّ الفشل الذي اصاب المسلمين في أحد ان
رماتهم تركوا مراكزهم بعد الدورة الاولى من المعركة
لينال كل منهم حظه من الغنيمة ، فقام خالد بن الوليد بحركة
تطويقية وجاءهم من خلفهم فارتدوا خاسرين ، وكذلك
القول في معركة الخندق ، فهي معركة عادية ليس فيها من
جديد ، إلا هذه البطولة التي اظهرها المسلمون اثناء
الحصار ، فارتدت قريش ومن شايعها ينعمون بالفشل المريع

والخذلان المين . وكان من اثر هذا كله ان اخذت القبائل الضاربة في الصحراء تحسب الف حساب لشوكة المسلمين ، فاقبل على الاسلام منهم من اقبل ، وتردد منهم من تردد .

اما فتح مكة فكان فتح الفتوح ، كانت مكة معقل الوثنية ، ومركز المعارضة الحقيقية ، وباقتحام محمد لها في السنة العاشرة للهجرة ، انهارت الوثنية وتمزقت المعارضة ، فلم تبق إلا الطائف ، وهذه استسلمت بعد قليل وعندئذ اخذ العرب يقبلون على الاسلام افواجاً افواجاً ، فتم لمحمد النصر على الجزيرة كلها ، وتم له ما اراده من توحيد القبائل العربية تحت سلطان واحد ودولة واحدة ، وترويضهم على الطاعة والتضحية في سبيل المثل العليا وضخام الاعمال .



البحنين إلى الوطن

محمد كما اراه

هذه قصة متواضعة لهذا العراك المؤثر ، بين محمد الفقير
اليتيم وبين أمة بأسرها ... ما يعرف التاريخ مثله تضحية
وجرأة ، وحباً للحرية ، وكرهاً للقيود والاستعباد ،
وسعياً لكل ما من شأنه اسعاد المرء واسعاد الجماعة في
نظام قوامه اشتراكية بعيدة عن التطرف ، وديموقراطية
قوامها العدل والانصاف والتعفف ، ليس فيها كبير
وحقير ، وغني وفقير ... الناس فيها سواء في الحقوق
والواجبات ، فاعجب بعد هذا لاعجوبة الدهر وعبقريه
الفرد ...

لست اعرف في التاريخ رجلاً مثل محمد بن عبدالله ،
كان شديد العاطفة قوي الحساسية سريع العبرة ، وهو
في الوقت نفسه من اشد الناس قوة وايماناً وجرأة وبسالة ،

دفاعاً عن دينه وعقيدته ... يموت حمزة عمه في معركة
أحُد، وتبقر هند زوجة ابي سفيان بطنه ، وتلوك قلبه
باسنانها ، فاذا وقف محمد حيال الجنة ورأى هذا التمثيل
الفظيع بكى وبكى المسلمون .

عبرات

وكذلك نراه بعد مدة يزور قبر امه ، فيجلس الى
القبر حزناً باكياً ، فاذا شاهده المسلمون اجهشوا بالبكاء
وفاضت قلوبهم حسرة على اليتيم الحزين .
فاذا كان فتح مكة ودخلها ظافراً فاتحاً مشى الى قبر ،
يقال انه لجده او عمه ، فعطف عليه ووقف امامه ، ثم
انصرف حزناً باكياً .

وما كان بكاءه وحزنه إلا ان اهله ماتوا قبل ان
يفطنوا لعذوبة الاسلام ، ويتقبلوا هذا الدين المتواضع ،
ويشاهدوا هذا الفتى الذي حفظوه ، وقد ادى الامانة ،
وقام بالرسالة ، فخلق أمة ، وانشأ شعباً ...

وفاة ابراهيم

ولست اعرف موقفاً يدعو الى الاسى والحزن يساوق
الموقف الذي وقفه رسول الله لما احتضر ابنه ابراهيم ،
واخذه رسول الله في حجره ، ونظر اليه برهة ثم قال
بخطبه :

— يا ابراهيم انا لن نغني عنك من الله شيئاً ...

وذرفت عينا رسول الله ، والصحابة ينظرون اليه ،
وقد اضطربت افئدتهم ، وجاشت عواطفهم ، فما يستطيع
احد منهم كلاماً ، ولا همساً ... والفنى يضطرب في
حجر رسول الله ، ومحمد الذي كان يحنو على الطفل ويحبه
حباً عظيماً ، لا يرفع عينيه عن فتاه الصغير وهو في حالة
الاحتضار والتزع ، مكافحاً عواطفه ما استطاع حتى لا
تترقق العبرات ، ويحيش ما في الصدر ، ولكن ذلك
كان فوق طاقة انسان ينظر الى ابنه يذهب لمآبه وهو
في حجره ، فذرفت عيناه وبكى وقال :

— انا بك يا ابراهيم لمحزونون ، تبكي العين ، ويحزن
القلب ولا نقول ما يسخط الرب ...

يعود بنا الفكر الى سنة واشهر خلت يوم ولد
ابراهيم ، ويوم سماه رسول الله ابراهيم تيمناً باسم الخليل ،
ويوم كان يذهب رسول الله الى مرضعته ، فيؤتى له بابه ،
فيضمه الى صدره ويقبله ، ويقول ما شاء الله ان يقول ،
فلما مات ابراهيم بكى رسول الله ، وبكى المسلمون
ومن حق محمد ان يبكي ، وقد كان يحب الطفل حباً
جماً ، ثم كان يريد ان يكون له طفلاً ، وما نهى رسول
الله عن البكاء على الميت ، وانما نهى عن النواح والصراخ ،
ولما دفن ابراهيم امر رسول الله برش قبره بالقليل من
الماء ، واثار اليه بعلامة ، ثم قال مخاطبه :

— « يا بني قل الله ربي ، والاسلام ديني ، ورسول
الله ابي ... »

وكسفت الشمس في ذلك اليوم فقال قائل من المسلمين .
- لقد كسفت لموت ابراهيم ..
فلما سمع رسول الله بذلك خرج الى الناس منكراً
هذا القول في حديث صحيح ...
« ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان
لموت احد ولا لحياة احد ، فاذا رأيتم ذلك فافزعوا
الى المساجد .. »

ملاعب الطفولة

واني لاذكر فيما اذكره من تاريخ رسول الله ، ذلك
اليوم الذي استحوذ فيه على محمد حب الوطن وحب الملاعب
الاولى .

ففي ذات يوم ، وبعد ان آب رسول الله الى
يثرب بعد ظفره باليهودية في خيبر ، احس بدافع قوي
ينزع به الى المضي نحو مكة ، حيث ولد ، وحيث نشأ ،
وحيث الارض التي لعب فوقها ، والبيت الذي كان ينام
فيه ...

كان الدافع قوياً لا يرد ، ولكنه تمكّث في يثرب
عدة اشهر ، حتى لم يستطع الى ذلك صبراً ، فلما توافي
اليوم الثالث من شهر اذار سنة تسع وعشرين وستماية
للميلاد ، افضى رسول الله الى اصحابه بالتأهب ، للمضي نحو
مكة ، ونذر ليحجن البيت ويطوفن حوله ، ثم يمشي بعد
ذلك الى حيث ابصر النور ، وادرك معنى الحياة ، والى

حيث كان يلعب ويفكر وينام ، فيتعرف بيت ابويه ،
ويزور منزل خديجة ، وينزل مآلف الطفولة ومراتع الحداثة ،
يجدد فيها ذكرى هذه الايام البريئة العذبة ، التي تمضت من
عمره ، وتقطعت من شبابه ...

وكان الرسول لستين خلثا قبل هذا ، قد تعاهد مع
قريش عهداً يبيع له مثل هذا الحليج ويبرره ، فلما مشى ،
مشى معه جمع ضخم من اصحابه وانصاره ، فيهم السلاح
والجنود والجمال ، كانوا الفين غير النساء والصبيان ، ومثل
هذا العدد من الجماعة يمشون في صعيد واحد ، كان شيئاً
ضخماً في الجزيرة ذلك العهد ، فلما سمع اهل مكة بقدمه
هالهم امره ، وراحوا يتساءلون ماذا عسى ان يحدث ،
وما يريد محمد منا ... وفيم جاء محمد الى مكة ..؟ وقريش
لم تحدث حدثاً بعد صلح الحديبية ، ثم ما لبثوا ان اتفق
رايهم على ان لا يعرضوا له في طريقه ، وان لا يردوه
عن حجه ...

فلما اشرف على مكة ، واشرف على الارض التي عرفها
صياً وشاباً وكهلاً ، تفجرت في صدره ، ذكريات جمعت
بين الالم والجمال معاً ، تذكر يثمه وفاقه ، ثم زواجه
بخديجة وسعادته العائلية ، ثم قيامه بدعوته ، وما لاقاه من
اذى قومه واضطهادهم ، ثم تابعت هذه الصور امام عينيه ،
وتالت في خاطره ، وغمرت كل تفكيره وشعوره ، فاذا
هو يعود بالفكر الى ايامه الاولى ، يوم توفيت امه ،
قبل ان يتعرف الى صورتها ، وقبل ان يستمتع بها

استمتع الفتى المحب ، بالام الرحيم الكريم ، واذا كان
الله قد منعه هذه الصورة البارة ، فلا اقل من ان ينزل
اليك الذي ابصر فيه النور ، بجوس جدران وارضه ،
ويجلس في حجرة التي نشأ فيها وربى فيها ، لعله يعود
بالخيال الى ايام رقيقة ندية باعراف الطفولة ، شجية بما
تحمله في جنباتها من قصة اليتيم النبي ...

وكذلك يفيء هذا اليتيم المغترب ، بعد سنوات
تقضت ، واعوام تقطعت في سبيل الله ، والمثل الانسانية
العليا ، هادياً تارة ، مشترعاً اخرى ، محارباً طوراً ، مدافعاً
حيناً ، الى منازل عبد المطلب ، فيذكر مجلسه عند جده ،
حين كان يمشي اليه وهو في ريعه السابع فلا يروقه
الا ان يجلس في صدره ، وفي مكان عبد المطلب نفسه ،
وما كان هذا تكلفاً منه لما هو فوق طوقه ، ولكنه كان
ايداناً لامته لتقتدي به وتأخذ مكانها في صدر الوجود
مثله دائماً وابدأ ...

وكذلك يعود محمد الى بلده قوياً بعد ان هجره
ضعيفاً ، وقد مشى من خلفه ومن قدمه عصبة ربطت
مصايرها بمصايره ، واقسمت لتدافع عنه ، ولتجارب في
سبيله ، حتى يقضي الله امره ، فلما اشرف على اطراف
مكة ، اخذته انظار جماعة من اهلها عرفوه في صغره ،
فعرفوا فيه الفتى اليتيم ، والشاب الامين ، والزوج المخلص
والنبي المجاهد ، وروعهم ان في عينه ذلك البريق الذي
عرفوه في عيني الطفل اول معرفتهم به ، وأن في وجهه

ذلك الطابع الروحاني الذي يفيض جمالاً ورقة وعذوبة
وقوة وسراً ، ولكنهم ذهلوا حين ابصروه يمشي في مثل
هذه الحاشية الضخمة التي لم يكن مثلها لأكبر زعيم
من زعماء الجزيرة ، وقد كان عهدهم به طريداً يطارده
قومه ، ويتدافعون لقتله ، ويتفتنون في تعذيب اصحابه ،
فكيف تبدل في مثل هذا الوقت القصير الى مثل هذا
الشان العظيم ، بحيث راح يساق قيصراً في ابعاده وسلطانه ،
وكسرى في اعتزازه وعنفوانه ...
وقد غاب عنهم انها النبوة ، وان النبوة شيء عظيم ...

وفاة محمد

لقد اذنت شمس الرسول بالمغيب ، فقد ادى رسالة
ربه ، ووحد العرب ، واكمل الله الدين ، فهو تعب بعد
هذا العناء ، ضعيف بعد هذه المشاق ، يأوى الى فراشه
وقد اخذته الحمى ، فبهلت قلوب المسلمين ...
هذه يثرب ، مدينة الرسول ، قد نزل بها هول غير
منتظر ، اصبحت تشهد رسول الله يمشي الى صلاة الصبح
فيكاد المسلمون يفتنون بصلاتهم فرحاً بروياه ، واطمئناناً
الى شفاؤه ، وقد غلب على ظنهم ان رسول الله قد افاق
من وجعه ، وما هي الا ايام حتى يعود الى مجالستهم
ومخالطتهم ، فما يمسي عليهم مساء اليوم نفسه حتى يمزق
الجو البكاء ، واذا الناس يغلبهم الانكار فلا يصدقون ،
وترتجف بهم الاقدام فلا يتقدمون ولا يتحركون ، وتضطرب

منهم القلوب وتنبعث الالهات من النفوس ، واذا هم
يكون فلا يكاد واحدهم يفيق من بكائه .

هذا رسول الله قد ثقل عليه المرض ، وفتحت له
ابواب السماء ، واقبلت عليه الملائكة افواجاً تحمل اليه
روح الله ورحمته ، وتبشيره بجوار ربه ، فتصعد روحه
الكريمة الطاهرة الى الملائكة الاعلى ، والى جوار الله جل
جلاله ، وعزت قدرته .

وتبكي فاطمة بنت محمد ، وقد فقدت الزائد الرؤوف
والوالد الحنون .

ويشوق المسلمون وقد فارقه الرسول الكريم والنبى
العظيم .

فاما عمر بن الخطاب فخبيل ، واما عثمان فأخرس ،
واما علي فأقعده .

واذا عمر بن الخطاب يهدد ويتوعد وهو يقول :
- ان رجلاً من المنافقين يزعمون ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم توفي ، وانه والله ما مات ، ولكنه ذهب
الى ربه كما ذهب موسى بن عمران ~~عليه السلام~~
ويقبل ابو بكر في هذه الفترة وعمر يكلم الناس
ويتوعدهم ، فيدخل على رسول الله وهو مسجى ، فيكشف
عن وجهه ويقبله ، ثم يخرج الى الناس فيقول :

- ايها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ،
ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ، ثم يتلو الآية :
« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ،

أفان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ، ومن ينقلب على
عقبه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين »
ولو ان الصاعقة انقضت في تلك الساعة بين المسلمين ،
فمزقت منهم الاشلاء واسالت الدماء ، لما كان وقعها أشد
من وقع هذه الآية على المسلمين وعلى عمر بن الخطاب ،
فقد سقط الفاروق الى الارض لا تحمله رجلاه ، وقد
علم ان رسول الله قد مات حقاً .

هذا محمد مسجى في بيته ، وابناؤه المسلمون يدخلون
عليه افواجاً يصلون ، والقلوب واجمة ، والدموع تضطرب
في المحاجر ، والبأس شديد عظيم .

ويؤري محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم في المكان
الذي قبض فيه ، وبانتقاله الى الرفيق الاعلى ، انقطع
الوحي ، ولكن رسول الله ترك للمسلمين من بعده كتاب
الله وسنته ، ان ساروا عليها اهتدوا ، وغلبوا الارض
من اقصاها الى اقصاها ، وان ضلوا فان الارض لله ،
يورثها من يشاء من عباده .



خُلِقَ الأنبياءُ

البطل

كان محمد من اكبر الابطال ، ولا اعني بالبطولة انه كان محارباً بارعاً ، وفارساً ماهراً ، في الحرب وحومات الوغى ، فما كان محمد من الذين يعنون بالاشتراك في القتال بسيف او رمح ، ولا كان يقود الغزوة شاهراً سيفه واصحابه من خلفه ، واشتراكه في المعارك كان قليلاً نادراً ، ولكن بطولة محمد هي في حياته ، وما تجملته من المتاعب والنصب والعنت ، في سبيل نشر الدعوة ، وقول لا اله الا الله ...

لقد جاء محمد قومه بدين يهدم كل ما قامت عليه الحياة العربية من عقائد وتقاليد وارااء ، وكان ينقض حتى ما امن به قومه واهله ، وما كان يقوم عليه شرفهم وغنائهم ومكانتهم في الجزيرة العربية ، فكان من المفروض

والحالة هذه ان يحاربه قومه ، وكان من المنتظر ، ان لا
يؤيده اهله ، فلا عجب بعد هذا ، ان لا يوفق ولا ينجح ،
وان يلقي من العنت والعذاب والاذى والمطاردة والاضطهاد ،
ما لا يطيقه احد من البشر ، ومع ذلك فما لان محمد ،
ولا استخذي ، وهو الفريد الوحيد بين قومه ، ومن
حولهم العرب كلهم يؤيدونهم عليه ، ويشجعونهم على قتله
وسحق دعوته ...

لقد قرأنا في تاريخه وسيرته كيف حجزه قومه مع
اهله من بني هاشم في ذلك المكان الضيق الذي اسماه
التاريخ (الشعب) ثلاث سنين ، وكيف صبر كل هذه المدة
على عقيدته ، لا يستبدلها بملك الدنيا ، وهو يشاهد اهله
وانصاره يتعذبون في سبيله ، ويطاردون بسببه ، ويهاجرون
الى الحبشة هرباً من اذى قريش وكيدها ، حتى اذا
اخرجه قومه من (الشعب) ذهب الى الطائف مع غلامه
يدعو اهله الى الايمان به ، ويدعوته ، فكان نصيبه منهم
ان اهانه كبارهم ، ورماه بالحجارة صغارهم ، فعاد الى
مكة فاشلا لا يائساً ، ورجع الى شأنه من بث الدعوة
ونشرها ، وكان شيئاً لم يكن ... وظل على حاله هذا
ثلاثة عشر عاماً ، حتى اراد الله له الهجرة الى يثرب ، فلم
ينذهب اليها الا بعد ان مهد لاصحابه كلهم بالخروج قبله ..

اميركي بصف الرسول

وقد كتب (واشنطون ايرفينغ) وهو اميركي كان

سفيراً لدولته في اسبانيا او اخره القرن التاسع عشر كتاباً
عن سيرة محمد قال فيه وهو يبحث البواعث التي حملته
على دعوته :

« اكانت الثروة ؟ لقد افاده زواجه من خديجة الغنى ،
فظل سنوات قبل الوحي لا يبدي رغبة في زيادة ثروته ،
أم كان يطلب المنازل الملحوظة ؟ لقد كانت منزلته عالية
في قومه وكان معروفاً بينهم بالفضل والامانة ، وكان من
قريش ومن اكرم فرع فيها ، وكانت سدانة الكعبة
وما تقيده من العز والسلطان في اسرته منذ اجيال ،
وكان من حقه ان يتطلع اليها ، فلما قام يحاول ان
يهدم الدين الذي نشأ عليه قومه اقتلع جذور هذه المزايا
جميعاً ، فقد كانت ثروة اهله ومنزلتهم قائمين على هذا
الدين ، فهاجمه وجبر على نفسه عداوة اهله ، وغضب مواطنيه
وسخطهم جميعاً .

« هل كان هناك في بداية سيرته النبوية ما يبعث
الامل او يعوض هذه التضحيات ؟ ان الامر كان على
النقيض ، فقد بدأ محاذراً متوخياً الكتان وظل سنوات
لا يوفق ، وعلى قدر توسعه في بث دعوته ، واذاعة
رسائله ، كان يشتد ويعظم ما يلقي من العنت والسخرية
والاذى والاضطهاد ، واضطر بعض اهله وانصاره ان
يفروا الى بلاد اخرى ، واحتاج هو نفسه آخر الامر
ان يهاجر الى بلد غير مكة ، فلماذا كان يصبر كل هذه
السنوات الطويلات على « دجل » يسلبه كل متاع الدنيا في

سن لا تسمح بان يبدأ المرء حياته مرة اخرى ؟
 « فما قام بالدعوة الا بعد الاربعين ، وقضى في مكة
 ثلاثة عشر عاماً ، وكان تاجراً حسن الحال فهاجر منها
 فقيراً معدماً ، لا يعرف ما كتب الله له في غيبه من
 النصر ، ولا ينبغي اكثر من ان يبني مسجداً يعبد فيه
 ربه ، ولا يرجو الا ان يعبد الله في سلام . ولما جاءه
 النصر لم يتكبر ، ولم يتجبر ، ولم يغتر ، محافظاً وهو في
 أوج قوته ، على بساطته ايام ضعفه ...
 « وجاءه نصر الله بعد الهجرة ، ولكن الايام لم تجر
 كلها على صعيد واحد ، واذا كان قد انتصر كثيراً فقد
 انهزم احياناً ، فلا النصر ابطره ، ولا الهزيمة اضعفت
 روحه او فتت في عضده .

لولا محمد

« وكان عليه ان يضع للجماعة الاسلامية في المدينة
 النواميس والنظم في السلم والحرب . وهو فيما أعلم الوحيد
 الذي بلغ الرسالة كلها ، واتم عمله أجمعه في حياته ، فأكمل
 الدين ، وأسس الدولة ، ووضع القواعد كلها ، ووجه الامة
 الجديدة الوجهة التي فيها الخير والصلاح والعز . وليس لهذا
 مثل في التاريخ - قديمة وحديثة - وهنا ينبغي ان
 نذكر ان مسافة الزمن التي تم فيها كل هذا كانت
 قصيرة جداً ، وان دينه كان جديداً ، يخالف كل ما
 وجد عليه العرب . وفي هذه المدة الوجيزة لم يغير للعرب

عبادتهم وحدها ، بل غير نفوسهم ايضاً ، ولا شك ان
 صرف امرى عن عبادة حجير او نحوه أهون جداً من
 صب النفس في قالب جديد . وقد خلق من هؤلاء
 العرب المتنافرين المتعادين المتهاككين رجالاً يعدون في
 طليعة ابطال العالم ، وماذا كان هؤلاء جميعاً خليقين ان
 يكونوا لولا محمد ؟ ونعني بهم ابطال التاريخ الاسلامي
 من مثل الخلفاء والولاة والقواد والفقهاء ... اكان احد
 يمكن ان يسمع بهم ؟؟

وليس من شك انهم كانوا خلقاء ان يكونوا شيئاً
 مذكوراً بين قومهم ، ولكن قومهم اجمعين لم يكونوا
 شيئاً .. وما قيمة قوم انقسموا قبائل متعادية لا أثر لها
 في الحياة ، ولا يعابها حتى من يجاورها من الامم ؟
 ومن هذه العناصر خلق محمد أمة عظيمة فتحت الدنيا ،
 ونشرت الدين ، وأهدت الى العالم حضارة كبيرة غيرت
 مجرى التاريخ الانساني كله .

— انتهى —

محمد واصحابه صلى الله عليه وآله وسلم
 وكان محمد الى هذا فذاً في اختيار الرجال
 واجتذابهم واستخلاص طاعتهم له ، ولدعوته في حياته
 وبعد مماته ...

وسبب ذلك انه لم يكن يتنزل من اصحابه منزلة
 فاتح مغامر ، ولا منزلة جبار يريد في الارض علواً ،

الله اكبر
 والله اعلم

ولكن منزلة الاب الشفيق والمعلم الحكيم ، آخى بين المسلمين والانصار اول الهجرة ، واوجب عليهم التناصر والتعاون في الحياة ، وان يعمل كل واحد منهم للمثل العليا وخير المجموع ...

وكان في المدينة جماعة من اهلها يتزعمهم عبدالله بن ابي ، وقفوا من الدعوة وصاحبها ، موقف العناد والمعارضة ، ولقى الرسول منهم عنثاً عظيماً ، ولكنه كان يداريهم ويحطاط لهم في اناة ورفق عظيمين ، من ذلك انه لما فرغ من قتال بني المصطلق ، اقبل المسلمون على ماء هناك يستقون ويسقون ، فازدحموا على الماء ، واقتتل عليه رجلان احدهما خادم لعمر بن الخطاب ، والاخر سنان بن برة وكان حلفاً للانصار .

فصرخ الحنيلي : يا للانصار ، وصاح الاخر : يا للمهاجرين فغضب عند ذلك عبدالله ابن ابي ، وطقق يلوم من كان حاضراً من قومه لانهم احلوا المهاجرين ديارهم ، وليج به الغضب حتى قال :

— لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل .. وهي المقالة التي سجلها القرآن الكريم ، وبلغت مقالة بن ابي رسول الله فاعتم لذلك غمماً شديداً ، وكان عمر بن الخطاب عنده ، فأشار عليه بقتل ابن ابي ، فأجابته الرسول :

— فكيف يا عمر اذا تحدث الناس بان محمداً يقتل اصحابه ؟ .

ولكي يشغل الرسول الناس عن التحدث في هذا الامر أمر من فوره بالرحيل ، وذلك في ساعة لم يكن من عادته أن يسير فيها . وراح عليه السلام واصحابه يطوون المراحل ويصلون النهار بالليل سيراً وسري حتى بلغوا المدينة ، واذا الحال قد تغيرت من جميع وجوهها ، فهذا عبدالله ابن أبي قد اتى الى الرسول يخلف له انه ما قال ما بلغه عنه ، وهذا ابنه يطلب الى النبي ان كان لا بد أمراً بقتل ابيه أن يتولى هو - الابن - قتله ، فيقول له الرسول :

« بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا »
وهؤلاء رهط عبد الله ابن أبي قد استخزوا لسلوك صاحبهم وأصبحوا كلما أحدث حدثاً هم الذين يعنفونه ويؤنبونه .
هنالك اقبل الرسول على عمر بن الخطاب وقال له :
« كيف ترى يا عمر ؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله ، لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته ... »
فقال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله اعظم بركة من امري .

محمد والانصار

وكان عليه السلام قد خص المؤلفه قلوبهم من قریش وقبائل العرب من غنائم هوازن بعطايا جسام لم يعط مثلها احد من الانصار ، فوجد الانصار في انفسهم حتى قال قائلهم :

— لقي والله رسول الله قومه ...
ودخل عليه سعد بن عبادة وابلغه رأي قومه ، فقال
له الرسول :

— فأين انت من ذلك يا سعد ؟
قال : ما انا الا رجل من قومي .
قال : فاجمع لي قومك في الحظيرة .
فلما جمعهم سعد اتاهم رسول الله ، فحمد الله واثنى
عليه بما هو اهله ، ثم قال :

— يا معشر الانصار ! ما قاله بلغني عنكم ، وجدة
وجدتوها علي في انفسكم ؟ ألم آتكم ضلّالا فهذاكم الله ،
وعالة فاغناكم الله ، واعداء فألف الله قلوبكم ؟
قالوا : بل الله ورسوله آمن وافضل .
ثم قال : ألا نجيّبوني يا معشر الانصار ؟
قالوا : بماذا نجيّبك يا رسول الله ؟ لله ورسوله المن
والفضل .

قال : « اما والله لو شتم لقلتم ، فلصدقتم ولصدقتم ،
اتيتنا مكذبا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريداً
فأويناك ، وعائلاً فأسيناك ... اوجدتم يا معشر الانصار
في انفسكم في لعاعة من الدنيا تالفت بها قوماً ليسلموا ،
ووكلتكم الى اسلامكم ، الا ترضون يا معشر الانصار ان
يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله الى
رحابكم ؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت
امراً من الانصار ، ولو سلك الناس شعباً ، وسلكت

الانصار شعباً لسلكك شعب الانصار . اللهم ارحم
الانصار ، وابناء الانصار ، وابناء ابناء الانصار .
قال فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم .
وقالوا : رضينا برسول الله قسماً وحظاً .
ثم انصرف رسول الله وتفرقوا .

اعمال وافعال

وكان رسول الله في تواضعه واخلاقه ورقته
بالمكان الارفع ، كان يحاول ما استطاع الى ذلك سبيلاً
ان يلقي في روع اصحابه انه مثلهم ، فلا يسمح لهم
بالوقوف له ، ولا يحاول ان يتقدمهم ، ولا ان يزاحمهم ،
كان يعيش مثلهم يصلح ثيابه بيده ، ويحمل اغراضه بنفسه
ولما مات لم يترك من بعده لورثته لا مالا ولا عقاراً ،
حتى حصته من (فديك) اوصى خليفته من بعده - كما
ذكر ذلك ابو بكر - بان يردها الى بيت المال ...
فكان ذلك امراً مقضياً .

ومن المؤكد ان الهجرة الى المدينة تناولت سياسة
الرسول ببعض التبديل من حيث علاقاته مع خصومه ، فقد
كان في مكة مصلحاً يعمل لنشر دينه ، واما في المدينة
فقد اصبح مشرعاً وقائداً وزعيماً ورسولاً .

ويظهر هذا التبديل في القرآن نفسه ، فالآيات التي
نزلت في مكة مليئة بالصور الفنية الموسيقية المثيرة
للعواطف ، واما في المدينة فالمنطق يتغلب على اكثر

الآيات ، التي أصبحت طويلة بخلاف الآيات المكية القصيرة .

النساء والرقيق

ولقد كان تعدد الزوجات عند العرب قبل الاسلام امرأ عادياً فعمل رسول الله على حصر ذلك وتقييده ووضع الصعوبات في طريقه ، وكانت العادة قبلاً ان يأخذ الواحد الى العشر زوجات واكثر ، فاجرى الرسول للمسلمين من بعده الحق في اربع تحت شروط ، اهمها ان يكون ذلك لضرورة ، وان يكون من اليسر بحيث يستطيع القيام بنفقات زوجاته والعدل بينهن كل العدل . وكذلك الحال في مسألة الرقيق ، فقد جعل حياة العبد سهلة لينة يسيرة هينة ، بعد ان كانت شديدة قاسية ، وجعل إعتاق العبيد من اعظم ما يتقرب به الانسان الى ربه ، كما منع من استعباد المسلم منعاً باتاً .



محمّد بن خنق الأبطال

محمد واصحابه

ما اعلم أحداً كتب عن محمد حتى الان ، فما ظهر إن كان مني أو من سواي ، ليس سوى دراسات متواضعة ما استطاعت الوصول الى تفهم هذه الشخصية التي تسو وتخلق كلما تقدم الزمن وتقطعت الاعوام ... محمد لم يخلق امة فحسب ، ولكنه خلق من العبقريات في هذه الامة ما لم ار له مثيلاً فيما درسته من تاريخ الامم من سالف وحاضر ، فهذا ابو بكر ، وهذا عمر ، ما اعلم ان امة كان لها مثلهما ، رجلان قاما باعباء الخلافة في اخطر الظروف واشد الساعات حراجه ، فضحى كل منهما بنفسه وصحته وعائلته في سبيل المجموع ... وزادا ندى فاستشهدا في سبيل الله ومحمد ... فموقف ابي بكر في الثورة التي استطارت بعد وفاة محمد ، فريد عريق

في العبقريّة والرجولة ، كان ابو بكر تاجراً قبل ان يعرف
محمداً ، فاذا به بعد الاسلام يُخلق خلقاً جديداً ، واذا
به الخليفة الكامل دون ما سابق استعداد ولا معرفة ..
اذكروا ان عمر بن الخطاب اتته الدنيا وهو قابع
في المدينة ، يصدر الاوامر لقواده ، ويبعث البعث ،
ويأمر بتنظيم البلاد المفتوحة .. اتته الجواهر ، والحيل ،
والمال ، والسلاح ، والاسرى من الرجال والنساء والاطفال .
كل هذا اتاه ووضع تحت قدميه فما مدّ يده الى شيء ،
ولا سمح لاحد من اهل بيته ان يمد يده لشيء ، ثم
كان نصيبه كنصيب سواه من فقراء المسلمين ...

جاء الناس في عهده فجاع عمر ، اكل الزيت
والخل ، والحبز الجاف ، فنصحته المسلمون ان لا يفعل
بعد ان ساءت صحته وضعف جسمه ، فأبى ولم يسمع ...
وهو الخليفة ، وهو امير المؤمنين ...

من خلق عمر ؟ من الذي روضه ؟ حتى اصبح بهذه
المثالية الرائعة ؟ ذلكم محمد ...

وهذه هند زوجة ابي سفيان زعيم قريش ، وقد
حدثكم عما فعلته بحمزه عم محمد ، وكيف لاكت قلبه
باسنانها كرهاً بمحمد وحقداً عليه ، فاذا كان في طريقه
لفتح مكة اسرع ابو سفيان الى قومه ينصحهم بالاستسلام
اذ لا طاقة لهم بمحاربة محمد وانصاره ، فاذا سمعت
هند منه ذلك اخذت بلحيته وقالت :

— اقتلوا هذا الشيخ الاحمق .

فاذا دخل محمد مكة اسلمت كما اسلم سواها ، فلم
نعد نسمع لها خبراً ...
ولكن مهلاً فان لها ولغيرها حديثاً عجيباً ...
يموت محمد ويتولى الامر بعده ابو بكر ، ثم يموت
ابو بكر ويقوم عمر بالامر من بعده .

معركة اليرموك

نحن في السنة الخامسة عشر للهجرة ، والمسلمون في
اليرموك يواجهون عدواً صعباً وجيشاً كبيراً ، وخالد بن
الوليد الذي كان السبب في هزيمة المسلمين يوم أحد ، ثم
اسلم بعدها ، يرتب الجنود ويبيع الصفوف ، والمسلمون
قليل اذا قيسوا بالروم . كانوا نصف عدد خصومهم ما في
ذلك شك وعلى اكثر تقدير ...

تنبأ الناس للقتال ، ورفعت الرايات ، فهذه الازد
تحت راياتها ، وهذه قريش تحت لوائها ، وهذه قحطان
قد وقفت صفوفاً في القلب ، وهذه همذان يتخايل شبابهما ،
وهؤلاء الانصار بعمائمهم الخضراء .

بدأ الناس بالتهليل ، واخذ القراء يقرأون القرآن ...
ملك الجيش العربي روح جارقة ... وقوة فياضة ،
وهزم حب الموت ، فظهرت الابتسامة على وجوه
الشباب ، ولعلت الامل في قلوب الصجابة الذين طال
شوقهم الى محمد ، فهم يريدون اللحاق به والاجتماع
اليه ...

وقف النساء خلف الجيش ، بينهن العجوز والفتاة
المعوب ، وقد أخذت كل واحدة منهن عموداً كبيراً ،
وبعضهن سيفاً او رمحاً ... وقفن متحفزات ، إما لقتال
الروم ان وصل احد منهم اليهن ، او لقتال ازواجهن
واولادهم ان ارتدوا عن المعركة .

وهذه هند زوجة ابي سفيان معين ، وزوجها ابو
سفيان بين الصفوف يحرض الناس على القتال ، ويدعوهم
الى الصبر والتضحية ...

المرجوم

هجم الروم ، وتنادى العرب للحرب ، وعلا الصياح
وانشدت الجلبة ، تادت القبائل بشعارها ، فهذا يقول لييك
يا محمد ، وهذا ينادي الله اكبر ، وثالث يصرخ يا
لثارات مؤته ...

لقد بدأت المعركة وهجمت ميسرة الروم على ميسرة
المسلمين بقوة تفوقها اضعافاً مضاعفة ... ارتد بعض
المسلمين الى حيث النساء فوقعوا بين نارين ، نار الروم ،
ونار زوجاتهم وبناتهم ، وقد اخذن يصحن في وجوههم ...
— الى أين ؟ الا تدافعون عن دينكم واعراضكم ؟ لستم
بعولتنا ان اردتم فراراً ، لستم آباؤنا ان لم تمنعونا ، اذهبوا
فموتوا في سبيل محمد . فان لم تفعلوا فلسم منا ولسنا منكم .
كانت هند بين النساء ، فلما رأت زوجها ابا سفيان
يتراجع مع المنهزمين اخذت بلحيته وجذبتها جذباً عنيفاً

وراحت تقول له :

— اخذك الله ، انتراجع انت ايضاً ؟

وكذلك ترون كيف ان هنداً عدوة محمد والاسلام
لسنوات خلت ، تدافع اليوم عن محمد والاسلام ، كأحسن
ما يدافع الرجال ، محتالة في ساحة الوغى كالابطال ...
عاد المسلمون فكرّوا ، فمزّقوا الجيش الروماني .
وما هي الا ساعات حتى ارتد الروم وانهار الجيش
وتعاورتهم سيوف العرب المسلمين ، فراحوا بين اسير
وقبيل وجريح ...

نَسْمَةُ مُحَمَّدٍ

محمد لم يأتنا بدين متواضع حلو ساذج عذب فحسب ،
ولكنه انشأ امة وخلق من هذه الامة العبقريات ، وبث
في المسلمين الذين عرفوه وشاهدوه روحاً وصفت لكم
بعض آثارها ... فاذكروا ذلك ... واذكروا ان اجدادكم
ملكوا العالم بروح محمد ... فلما خرجوا من الجزيرة لغزو
الارض مشى النصر في ركابهم ، لا يمشي بهم جبل إلا
اقتحموه ، ولوّحوا براياتهم فوق قمم وهضباته ، ولا ينزلون
مدينة الا هدموا ما فيها من اثار الوثنية ، واقاموا على
انقاضها مسجداً لعبادة الله رب هذه الاسلامية المتواضعة ...
اذكروا انهم ماتوا في سبيل الحريات والاستقلال والمثل
العليا ، فاحتوتهم كل رقعة في الارض ، من اقصى الصين
الى اقصى المغرب ، وفيأتهم الظلال الندية في اليرموك ،

والقادية ، وغرناطة ، ومصر ، وشمالي افريقية ...
اني لانظر الى هذه الارض التي اصطبغت بدم الشهداء
من العرب الاولين ، انصار محمد وخلفاء محمد ، هؤلاء
الذين بلغوا مطلع الشمس ومغربها في فتوحاتهم ، والذين
حملوا معهم الى البلاد المفتوحة الحريات ، والعدل ،
والاخلاق ، والاسلام ، والقرآن ...

يخيل اليّ ان الارض التي سلكوها فرساناً وركباناً
ومشاة لا تحمل كل اسمائهم ، وان بعضها قد اخذ
يتناساهم ويصطنع الاغراب والعجبة حيث كان يجب
ان يصطنع العروبة والاسلام . ولكن لا ، لن ننساهم
نحن الشباب ... ابناء الجيل المقبل ... سنذكرهم ، وسنزرع
فوق قبورهم الرياحين والآس والازهار الجميلة العذبة ، ثم
نقيم فوق اجسادهم عمداً من المرمر ، نكتب عليها :

« هنا نرفد نسمة من روح محمد ... »

- انتهى -

الفهرس

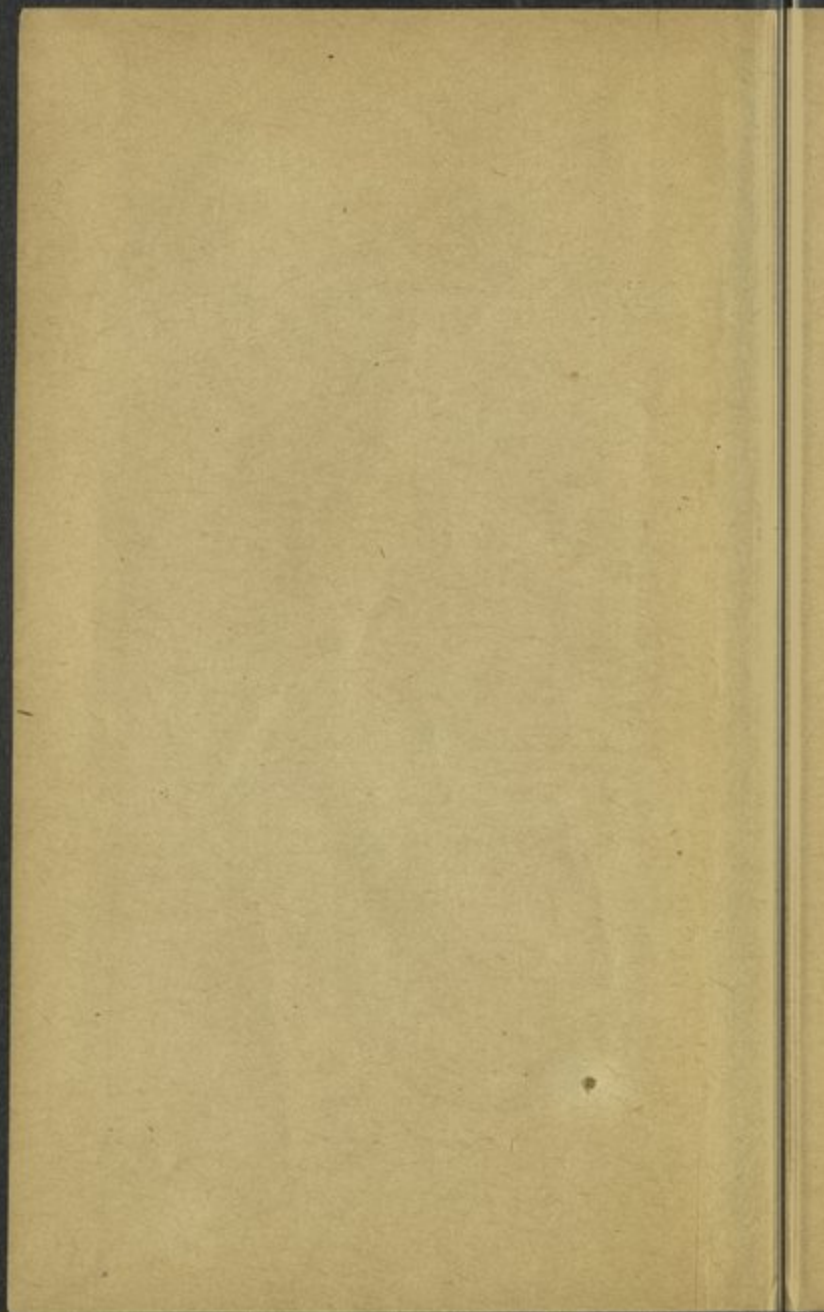


صفحة

مقدمة واهداء	٥
عهد الشباب	١١
ايام شاقة صعبة	٢٠
في سبيل الوحدة العربية	٢٧
الحنين الى الوطن	٣٦
خلق الانبياء	٤٥
محمد يخلق الابطال	٥٥

تم طبع هذا الكتاب في دار الاحد - بيروت -
يوم الاحد الاول من شهر محرم عام الف
وثلاثمائة واربع وستين - السابع
عشر من شهر كانون
الاول عام الف
وتسماية واربع
واربعين

وطبع من هذا الكتاب ٦٠ نسخة
على ورق صقيل مرقمة من ١ - ٦٠
و ١٢ نسخة بمنازة لا تعرض للبيع .



OMAR ABOU-NASR YAFI

EVENTFUL HOURS

IN THE HISTORY OF

MOHAMED

Published by :

THE ARABIC EDITION COMMITTEE

DAR AL-AHAD BEIRUT

1944



MOMENTS PATHÉTIQUES

DANS L'HISTOIRE DE

MOHAMED

Édité par :

LE COMITÉ DES ÉDITIONS ARABES

DAR AL-AHAD BEYROUTH

1944

DATE DUE

J. Lib.

5 JUN 1985

16 JUN 85

J. Lib.

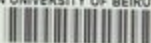
6 APR 1986

297.63:A165maA:c.1

ابو النصر، عمر

مواقف مؤثرة في تاريخ محمد بن عبد ا

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01010019

297.63:A165maA

ابو النصر

297.63

A165maA

297.63

A165maA

C.1